خروج أضرب الخبر على خلاف مقتضى الظاهر

في مشاهد الآيات الكونية في القرآن الكريم

.....

أ. م.د. عبد الرزاق فياض علي

جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربة

الباحث مهند خزعل ردعان الرفيعي

ملخص البحث

يقوم هذا البحث على قضية مهمة في الدراسات البلاغية في القرآن الكريم، وهي قضية خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر في آيات المشاهد الكونية في القرآن الكريم، ويدور البحث حول بيان عبارة (مقتضى الحال)؛ وبيان أحوال المخاطبين التي تستدعي مجيء الكلام على حالة خاصة ومناسبة للحالة التي هو عليها من حيث خلو الذهن والتردد والإنكار، وكشف الأسباب التي دعت للخروج على مخالفة الظاهر، وبيان الأغراض البلاغية من هذا العدول عن مجيء الخبر على وفق مقتضى الظاهر؛ وكيف تميزت لغة القرآن الكريم ، عن غيرها من اللغات الأخرى في كتب اللغة والأدب، وذلك من خلال عرض بعض النصوص والشواهد القرآنية التي توضح ذلك، وكيف عُنيَ القرآن الكريم، بمخاطبة العقل والقلب والشعور معاً، وقد نبه البحث على أن خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر ليؤدي بذلك وظيفة البلاغة الأساسية وهي (مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته).

ABSTRACT

This research is an important issue in the rhetorical studies in the Glorious Qur'an, which is the issue of breaking the news contrary to what is apparent in the Ayas of the universal scenes in the Glorious Qur'an. The research is conducted on the statement of the phrase "as the case may be;" and the statement of the conditions of the addressees, and to explain the rhetorical purposes of this require from the coming of the news according to the requirements of the phenomenon; and how is the language of the Qur'an, unlike other languages in the books of language and literature, And by offering some The texts of the Glorious Qur'an and evidence that shows it, how the Qur'an cares to address the mind and heart and feeling together, the research has warned that out the news otherwise appropriate, the apparent result so basic function of rhetoric which is (identical speech case may be with his eloquence).

المقدمة

الحمدُ لله على حِلْمِهِ بعدَ علمِهِ، وعلى عفوِهِ بعدَ قدرتِهِ، حمداً يوافي نعَمَه، ويكافئ مزيده، وأفضلُ الصلاةِ وأتَمُّ التسليمِ على سيدِنا محمدٍ المبعوثِ رحمةً للعالمينَ، سيدِ العربِ والعجمِ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وأمَّتِهِ خيرِ الأمَمِ وبعدُ:

نزل القرآن الكريم بأسلوب لا يضارعه أسلوب، فلا هو شعر ولا نثر ولا سجع ولا هو خطابة، إنما هو نظم رائع وألفاظ عذبة ومعان سامية، وهيبة وجلال وروعة وجمال، جمع بلاغة جُلّ أساليب البيان وفصاحته وخصائص النظم، وستوفى كل عناصر الإعجاز [1] فقد نزل القرآن الكريم للناس كافة الذين تختلف أفكارهم وتوجهاتهم، فبلغ الرسالات مطابقاً لحال مخاطبيه.

إذا كانوا خالي الذهن فالخبر اللازم يكفيهم، أما إذا كانوا مترددين أو منكرين فالكلام أو الخبر اللازم لا يفيدهم، وإنما يستعمل القرآن أسلوب التوكيد لمخاطبة هؤلاء المنكرين والمترددين، لإزالة التردد والشك والحيرة، وإفحام المنكرين وهذا هو الحاكم، وكان من عناية الله وحكمته تعالى أنه خاطب الناس على قدر مداركهم، فنرى القرآن الكريم، استعمل التوكيد في الأخبار اللازمة التي ينبغي أن تكون على وفق الظاهر خاليةً من أي مؤكدات، لكن جيء بالتوكيد لتحريك مشاعرهم واسترعاء انتباههم وجذبهم إلى الخير والرشاد، لذلك تنوعت أساليب الأخبار والخطاب القرآني ومن هذه الأساليب أسلوب (خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر) فقد أفحم القرآن المشركين الجاحدين والمعاندين والمنكرين، إذ أنزل في مخاطبته في كثير من الأحيان في أخباره عن آيات المشاهد الكونية، العالم بفائدة الخبر والازمها منزلة الجاهل لعدم جريه على مقتضى علمه، وكذلك أنزل غير المنكر منزلة المنكر لظهور امارات الإنكار عليه وجعل المنكر كأنه غير منكر؛ لأن بين يديه من البراهين الساطعة والحجج القاطعة ما لو تأملها لعدل عن الإنكار، وكذلك إنزال خالي الذهن منزلة السائل المتردد، وهذا كلّه لدواعٍ بلاغية واعتبارات خفيه عالجها القرآن الكريم، بأسلوبه الفريد وروعة بيانه، وكان لخروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر في آيات المشاهد الكونية دور كبير في تثبيت القضايا المهمة في تثبيت العقيدة الإسلامية وفي إقناع المعاندين للإسلام، وكان لها النصيب الأوفر في ترسيخ هذه الدعائم الركيزة في أسلوب الدعوة الإلهية.

وقد اشتمل البحث (في خروج أضرب الخبر على خلاف مقتضى الظاهر في آيات المشاهد الكونية) على وفق المنهج الآتي:

تمهيد: ويشمل الإشارة إلى عبارة (مقتضى الحال) من خلال عرض بعض النصوص والأمثلة التي تدعم توضيح فكرة أو عبارة مقتضى الحال وعرض أراء التي ذكرها بعض العلماء والنقاد والبلاغيين

والدارسين في اللغة والأدب والبلاغة قدماء ومحدثين من أمثال الجاحظ والقزويني والسبكي والقيرواني، وعبد العظيم إبراهيم المطعني، و د. سامي عطا حسن، والدكتورة سميرة عدلي محمد رزق، ثم بيان أضرب الخبر على وفق مقتضى الظاهر مع الاستشهاد ببعض الشواهد القرآنية والأمثلة من غير القرآن ؛ ليتسنى لنا معرفة أضرب الخبر وموافقتها لمقتضى الظاهر أولاً ثم نخلص بعد ذلك لدراسة خروج أضرب الخبر على خلاف مقتضى الظاهر في آيات المشاهد الكونية، وبيان صورها من خلال عرض الآيات التي فيها خروج على خلاف الظاهر وبيان الأسباب التي دعت للخروج على خلاف مقتضى الظاهر، بحسب الحالة أو الصورة التي خرجت إليها. وانتظم البحث في أربعة مباحث:

المبحث الأول: أنّ ينزّل خالي الذهن منزلة السائل المتردّد إذا تقدّم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر.

أما المبحث الثاني: أن ينزل غير المنكر لما يقدّم له من خبر منزلة المنكر لظهور إمارات الإنكار عليه.

وكان المبحث الثالث: معنون بـصور خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر وذلك أن ينزل العالم بفائدة الخبر وبلازم الفائدة منزلة الجاهل بالخبر؛ وذلك لأنه غير عامل بمقتضى علمه فيقدّم له الخبر كما يقدم للجاهلين به فإن من لا يعمل بمقتضى علمه فهو والجاهل سواء.

المبحث الرابع: أن ينزل المُنكر منزلة غير المنكر؛ فلا يعتد بإنكاره، لأن بين يديه شواهد وأدلّة لو تأملها لعدل عن إنكاره.

وجاءت الخاتمة: وفيها سُجلت أهم النتائج التي توصل إليها البحث. وتلتها تثبيت قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

قبل التعرض لدراسة خروج أضرب الخبر في آيات المشاهد الكونية في القرآن الكريم، على خلاف مقتضى الظاهر، ينبغي الإشارة أولاً إلى عبارة مقتضى الظاهر وإلى الموضع أو المناسبة التي وجد فيها هذا التعبير أعني "مقتضى الحال" حتى ندرك اهميته...

دائما ما يستوقف القارئ هذا التعبير عند قراءته لتعريف بلاغة الكلام لدى القزويني (ت:٧٥٠هـ) إذ يقول: "والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"[٢] وهذه العبارة نجدها ايضا في تعريف السبكي(ت:٧٧٣هـ) لعلم المعاني إذ يقول: "علم المعاني وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"[٣]، ونحن هنا لسنا بصدد التعريف بعلوم البلاغة أو علم المعاني لأن كتب البلاغة زاخرة بذلك، لكن الهدف هو توضيح مفهوم مقتضى الحال من خلال عرض الأمثلة والشواهد القرآنية التي تساهم في توضيح معنى (مقتضى الحال)

والمقتضى هو الاعتبار المناسب الذي يستدعي مجيء الكلام على صفة مخصوصة مناسبة للحال، كالتأكيد في حال الإنكار أو التردد مثلاً، وعدم التأكيد في حالة خلو الذهن [٤] ولا شكَّ أنَّ هذا المقتضى لا يكون على حاله واحده بل يتغيَّر بتغيّر المناسبة أو المقام، فاعتبار الكلام اللائق بمقام ما يختلف عن الاعتبار اللائق بآخر.

ويرى بعض الباحثين أنه قد يتوهم السامع بأنِّ الحال شيء متعلق بورود الكلام على خصوصية معينة في زمن معين. وأن المقام هو المكان الذي قيل فيه، ولكن الحقيقة غير ذلك إذ إن الحال والمقام شيء واحد، والاختلاف يكون في الاستعمال.[٥] وقد أولى الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) هذه المسألة أعني مراعاة مقتضى الحال اهتماما كبيرا وانتهى الجاحظ إلى أن الذي قال بعبارة (لكلِّ مقامٍ مقال) قد أصاب في القول[٦]،ومثله رأي أبن رشيق القيرواني (ت:٤٦٣ه)الذي يرى من مقاصد الشاعر هو اختيار الأسلوب المناسب وأن " غايته معرفة أغراض المخاطب كائناً من كان؛ ليدخل إليه من بابه، ويداخله في ثيابه،"[٧] والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي اهتم بخطاب العقل والقلب والشعور معًا، ولا يخفى على علماء العربية وجهابذة اللغة مدى بلاغته ومراعاته لمقتضى الأحوال، وكيف يخفى عليهم ذلك وهو معينهم الأول ورافدهم الأصيل؟! [٨] وخلاصتها أن البلاغيين يشترطون في بلاغة الكلام أن يكون مطابقا لمقتضى الحال، أي أن يكون مطابقا للمقام أو المناسبة التي تدعو المتكلم إلى الكلام، ولما كانت هذه المناسبات مختلفة فقد تكون ترغيبا في أمور، أو تحذيرا من أمور أو تهنئة أو مواساة، أو إصلاحا بين الخصوم. وكل مناسبة منها لها خصوصية أو كلام مخصوص. فإذا وفّق المتكلم لإلقاء الكلام مناسبا للحال التي دعته إلى الكلام كان

بليغا، وكان كلامه بلاغة.(٩)، ولما كانت المناسبات التي يتحدث الناس فيها لا تكاد تحصر في عدد محدد، لكن البلاغيين وضحوا هذه الفكرة، وهى مطابقة الكلام لمقتضى الحال من خلال مناسبات ثلاث ضبطوها ضبطا حكيما. وهى بالنسبة للأفكار التي يحملها الكلام البليغ أو المعاني التي يريد إذاعتها بين الجمهور. لذلك قسم البلاغيون أحوال المخاطبين أمام الأفكار التي يحملها الكلام على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون السامع أو المخاطب أو القارئ خالي الذهن من تلك الأفكار وليس له موقف سابق منها بالنفي والرفض أو بالإثبات والقبول.

الثاني: أن يكون المخاطب أو السامع، أو القارئ مترددا بين قبول الفكرة أو رفضها، لعدم ترجيح طرف على آخر من طرفيها.

الثالث: أن يكون المخاطب رافضا للأفكار التي يحملها الكلام رفضا قاطعا.

هذه هي المستويات الثلاثة، التي استعان البلاغيون بها على تحديد الكلام الذى يعد بلاغة. وأطلقوا على هذه المستويات وسموها أحوالا للمخاطبين، ثم نصوا على ما يناسب كل حال منها من الكلام البليغ.(١٠)

فالمناسبة الأولى قالوا إن كان المخاطب (خالي الذهن) فإن الكلام المناسب له أن يكون خاليا من أساليب التوكيد، مثل: إنَّ- أنَّ- القسم- التكرار- نونا التوكيد الخفيفة والثقيلة- لام التوكيد_ وحروف التنبيه _ والحروف الزائدة وغيرها من مؤكدات الخبر.

ومثاله من القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ الفاتحة: ٢

لم يأت هذا الخبر دفعا لتردد في استحقاق الله للحمد، ولا لدفع إنكار من منكر. أما من غير القرآن فقد مثلوا لها بقولهم: (زيدٌ قادمٌ)

* أما المناسبة الثانية (التردد) فالكلام المناسب لها هو التوكيد بمؤكد واحد. ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ۝٨١ ﴾ الإسراء: ٨١

فقد اشتمل الخبر على مؤكد واحد وهو (إِنَّ) لدفع التردد، ومثاله من غير القرآن قولك لمن يشك في مجيء زيد تقول: (إنَّ زيداً قادمٌ)،(١١) أما إذا كان المخاطب منكراً، فإنه لا بد من التوكيد، وهذا التوكيد، يختلف قلةً وكثرةً على وفق أحوال الإنكار، فإن كان إنكاره إنكارًا غير مستحكم في نفسه أكد بمؤكد واحد، وإن كان مستحكمًا تضاعفت عناصر التوكيد بمقدار تصاعد حالة الإنكار؛ لأن وظيفة الخبر حينئذ هي تثبيت هذا المعنى في تلك النفس الرافضة له، فلا مفر من أن تكون قوة العبارة، ووثاقتها

ملائمة لحال النفس قادرة على الإقناع،[١٢] إذاً عند مخاطبة المنكر للأمر؛ فلا بدَّ من سبر أغوار نفسه ومعرفة مدى قوة ذلك الإنكار حتى يأتي الخطاب مقروناً بمؤكدات كافية تناسب ذلك وحتى يكون الكلام مطابقاً للحال. وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم؛ – وإن شئت فتأمل كلام رب العزة جل وعلا في قوله تعالى﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ يس: ١٤ – ١٦

إذ قال: أولاً " إنا إليكم مرسلون"، ثم قال الله تعالى حكاية عنهم في المرة الثانية، { ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون }

فمقتضى ما هم عليه من حال الإنكار في المرة الأولى أن يأتي كلام المرسلين مؤكَّداً بأحد المؤكدات وهي (إنَّ) – فقط – في قوله { إنا إليكم مرسلون } واقتضت حال الإنكار الثانية وهي أشدُّ من الأولى أن يأتي السياق الكريم بأكثر من مؤكّد؛ لإثبات ما جاءوا به ولإزالة تكذيب المخاطبين وإنكارهم للدعوة الراشدة، فجاء في سياق الآية الكريمة بالمؤكدات (إنَّ، ولام الابتداء) التي اقترن بها الخبر، مع ما يشعر بالقسم في قوله { ربُّنا يعلم } . كي يقرر ما ألقى إليك ويسمي هذا النوع من الخبر إنكارياً،" [١٣] ومثاله من غير القرآن الكريم قولهم: « إنَّ عبد الله لقائم، وهذه جملة خبرية فيها ثلاثة، مؤكدات، وهى: إنَّ. _ لام التوكيد _ اسمية الجملة.

إذاً حينما يلقى الخبر لخالي الذهن خالٍ من المؤكدات، يقول: (زيدٌ قائمٌ) وللمتردد (إنَّ زيداً قائمٌ) وللمنكر (إنَّ زيداً لقائمٌ) ربما يأتي أحد فيقول: هذا كله معنى واحد فلماذا هذا الحشو في الكلام، قال البلاغيون في اختلاف نظم التراكيب الثلاثة، مع أن المعنى– في الظاهر– واحد: إن التركيب الأول هو إخبار بقيام عبد الله. وأما التركيب الثاني فهو إزالة للتردد في قيامه والثالث إزالة لإنكار منكر قيامه. والكلام في التركيب الأول سموه الخبر الابتدائي، وفى التركيب الثاني سموه الخبر الطلبي، وفى الثالث الخبر الإنكاري واطلقوا على هذه التراكيب جميعا– (أضرب الخبر) [١٤]،فإذا أوردنا الخبر مجردا من المؤكدات لخالي الذهن، وللمتردد الشاك مقرونا ببعض المؤكدات استحسانا لدفع التردد وإزالة الشك، وللمنكر مقرونا بالمؤكدات بحسب درجة إنكاره قوةً وضعفاً، وجوبا بلاغيا، كان إيرادنا للخبر جاريا على مقتضى الظاهر، وهذا يسمى "إخراج الكلام على وفق مقتضى الظاهر".[١٥] وهذه نظرة يسيرة لأضرب الخبر على وفق مقتضى الظاهر ولكن ما يهمنا في موضوع بحثنا هذا هو خروج الكلام على

خلاف مقتضى الظاهر في الاسناد الخبري أو ما يسمى (الخروج عن أضرب الخبر)، فإذا أخرج المتكلم خبره عن هذه الحدود المرسومة له، كأن يؤكد الخبر لخالي الذهن، ويترك التوكيد مع المنكر- لا يسمى الكلام بليغا، ولا المتكلم؛ لأنه أخرج كلامه على خلاف ظاهر مقتضى الحال. أما في القرآن الكريم فنرى في مواطن كثيرة إخراج الكلام على وفق مقتضى الظاهر، وفى مواطن أخرى يأتي الكلام مخرجا على خلاف ما يقتضيه ظاهر الحال. ويكون الكلام في ذروة البلاغة والبيان الرفيع، لأن ذلك الإخراج يجيء في القرآن لنكتٍ بلاغية خفية تراعى في البيان القرآني المعجز[١٦] "لذلك قد تقتضي حالة المخاطب الخفية غير الظاهرة تأكيد الخبر له، مع أن توجيه الخبر له كان بصورة ابتدائية لا تستدعي بحسب الظاهر تأكيد الخبر له، فحين نؤكد له الخبر ملاحظين حالته الخفية، فإنا نوجه له الخبر مؤكدا على خلاف مقتضى الظاهر، وهذا يسمى: "إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر"."[١٧] واختلاف المقام يقتضي المخالفة بين كيفيات الكلام فيهما. ولكنه خروج عن مقتضى الظاهر إلا أنه لمراعاة مقتضى الحال حال المخاطب أو المستمع أو القارئ، وهذا هو غاية البلاغة مراعاة مقتضى الحال، لذلك قالوا في تعريف البلاغة مطابقتها لمقتضى الحال، ولكن هذه الأمور لا تتأتى لكل شخص وهي معرفة أحوال السامعين بل " لا بدَّ من حِذق المتكلّم ومهارته في إدراك ما حوله من ملابسات الأحوال أو ظروف السامعين ومستوى ثقافتهم وسبر نفسياتهم وإلا أخطأ الهدف وضلَّ الطريق.

لذا عُدَّ القرآن الكريم أعلى درجات الكلام بلاغة وأكثرها مطابقةً للأحوال، وكيف لا يكون كذلك وهو من لدن عليم خبير بدقائق الأمور ومقتضياتها، "[١٨] وصدق – عزَّ وجل - في قوله:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، ولخروج الكلام عن مقتضى الظاهر أسرار ودقائق بلاغية، نجدها أكثر في القرآن الكريم، فهي تجسد لنا عبارة أو فكرة المقام، وكيف أن لكل حالة ما يناسبها من المعاني في الكلام، ولذلك قدمنا دراسة خروج الكلام على وفق مقتضى الظاهر، وعلاقته بمقتضى الحال، لنستشف الفرق بين المصطلحين ونرفع الالتباس، ونلتمس حسن موافقة الكلام للمقامات التي وود فيها. إذا يعد إخراج أضرب الخبر على خلاف مقتضى الظاهر من أعلى درجات البلاغة والبيان الرفيع، لأن ذلك الإخراج يجيء في القرآن لاعتبارات ونكتٍ بلاغية خفية تراعى فيها حالة المخاطب أو السامع ويتغلغل في أعماق نفسه لمعرفة حالته الخفية فيوجه له الخبر على ضوء هذه الحالة النفسية، والقرآن الكريم كلام الله _وخطابه إلى عباده وهو أعلم بخفايا النفس البشرية ومكنوناتها، لذلك حينما نرى في القرآن الكريم خروجاً على مقتضى

الظاهر، فإن ذلك لداعٍ استحسن ذلك الخروج عن القاعدة والحدود المرسومة، حتى يحقق غرضاً من هذا التركيب وهذا الخروج والعدول عن الظاهر. هو لداعٍ من الدواعي البلاغيّة ذات التأثير في النفوس والأفكار، ومن هذه الاعتبارات التي يلحظها المتكلم وتدعوه إلى خروج الكلام عن مقتضى الظاهر[١٩] هي:

١-أنّ ينزّل خالي الذهن (غير السائل) منزلة السائل المتردّد إذا تقدّم في الكلام ما يشير الى حكم الخبر.

٢-أن ينزل (خالي الذهن) غير المنكر لما يقدم له من خبر منزلة المنكر لظهور أمارات الإنكار عليه.

٣-أن ينزل العالم بفائدة الخبر وبلازم الفائدة منزلة الجاهل بالخبر وذلك لأنه غير عامل بمقتضى علمه فيقدم له الخبر كما يقدم للجاهلين به

٤-أن ينزل المنكر منزلة غير المنكر، فلا يعتد بإنكاره، لأن بين يديه شواهد وأدلّة لو تأملها لعدل عن إنكاره.[٢٠]

المبحث الأول

أنّ ينزّل خالي الذهن (غير السائل) منزلة السائل المتردّد إذا تقدّم في الكلام ما يشير الى حكم الخبر

وهذا لا يكون إلا لأسرار يلتفت إليها المتكلم ويعيها الحاذق بلطائف هذه اللغة ودقائقها، وصاحب الذوق السليم، فعندما تكون الجملة المتقدمة في سياق الكلام متضمنة ما يشير إلى الخبر، و يومئ إليها، فإنها تثير في النفس المتلقية تساؤلاً يدفعها للتطلع والاستشراق لمعرفة الخبر والوقوف عليه، ومن أمثلة الإخراج على خلاف ظاهر مقتضى الحال في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ ﴾ [هود: ٣٧]، تخاطب الآية هنا نوحاً عليه السلام، ونوح خالي الذهن من الحكم الخاص بالظالمين، وكان مقتضى الظاهر أن يلقى إليه الخبر غير مؤكد.

لكن جملة "إنهم مغرقون " هنا إخبار بما سيقع وبيان لسبب الأمر بصنع الفلك. ومجيء الخبر إنكاريا مؤكدا بإنَّ تأكيدا للكلام وتنزيلا للسامع منزلة المتردد وتأكيد الخبر بحرف التوكيد (إنَّ) "في هذه الآية مثال لخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بتنزيل غير السائل المتردد منزلة السائل إذا قدم إليه من الكلام ما يلوح إلى جنس الخبر فيستشرفه لتعيينه استشرافا يشبه استشراف السائل عن عين الخبر. "[٢١]

("وتنزيلا للسامع منزلة المتردد لأنه للنفس اليقظى مظنة التردد في حكم الخبر ومؤونة الطلب له فقال أولا: ولا تخاطبني في الذين ظلموا أي لا تدعني يا نوح في استدفاع العذاب عنهم ثم قال: انهم مغرقون لأن الكلام مظنة أن يتردد نوح بأنه هل يصيبهم بأس بل بأنهم هل هم مغرقون بملاحظة ما تقدم من قوله واصنع الفلك فأورد الخبر مؤكدا فقال انهم محكوم عليهم بالإغراق. ")[٢٢]، وذلك لأن الله تعالى عندما نهى نوحاً عن مخاطبته في شأن مخالفيه دفعه ذلك الى التطلع إلى ما سيصيبهم، فنزل لذلك منزلة السائل المتردّد، فأجيب بقوله: إنّهم مغرقون.[٢٣]وهذا التأكيد هو لإزالة التردد عن سيدنا نوح وتأكيدا له بأن مصيرهم محتوم بالغرق، فلا تخاطبني يا نوح في شأن هؤلاء الظالمين، ولا ترجوني في رحمتهم أو في دفع العذاب عنهم، فقد صدر قضائي بإغراقهم ولا راد لقضائي.[٢٤].

فمن صور خروج الخبر في تنزيل غير المنكر منزلة المتردد في آيات المشاهد الكونية،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤]

فالخطاب موجه إلى المشركين، ولذلك كان للتأكيد بحرف (إِنَّ) موقعه لرد إنكار المشركين انفراد الله بالربوبية. وكان الخطاب صالحا لتناول المسلمين، لصلاحية ضمير الخطاب لذلك، ولا يكون حرف (إِنَّ) بالنسبة إليهم سدى، لأنه يفيد الاهتمام بالخبر، لأن فيه حظا للفريقين [٢٥] والخبر هنا ("أكد بحرف التوكيد، وإن كان المشركون يثبتون الربوبية لله، والمسلمون لا يمترون في ذلك، لتنزيل المشركين من المخاطبين منزلة من يتردد في كون الله ربا لهم لكثرة إعراضهم عنه في عباداتهم وتوجهاتهم... وقوله: الذي خلق السماوات والأرض صفة لاسم الجلالة، والصلة مؤذنة بالإيماء إلى وجه بناء الخبر المتقدم، وهو إن ربكم الله لأن خلق السماوات والأرض يكفيهم دليلا على انفراده بالإلهية.")[٢٦] أي كان لهم أن يعتبروا بأن الله واحد لا شريك له، لو تأملوا عظيم خلقه في السماء والأرض، لكن لما اعرضوا عن التوحيد وجعلوا له الأنداد، كان حالهم كحال من ينكر، عظمته سبحانه،(" فقد طوَّف في أرجاء السموات والأرض والتقط وصور واستدل وذكر. في أسلوب خطابي استدلالي على التفرد والوحدانية، وعرض الصورة تلو الصورة، والمشهد إثر المشهد. والدليل عقب الدليل. في حركات سريعة خاطفة. ووثبات صائبة. " وهكذا تشترك مشاهد الأرض والسماء مع ما يقع لهم من الأحداث كل يوم.. مع الأحاسيس الفطرية التي تلجئ الإنسان إلى القوة الكبرى عند الشدة تشترك في مخاطبة الحس والخيال

والعقل والقلب معاً ولمس البصيرة والوجدان، لتركيز عقيدة التوحيد في النفوس.. ومثل هذا كثير جداً في القرآن، مكرر مع تنوعه.(٢٧)

ومن صور أنزال خالي الذهن (غير السائل) منزلة السائل المتردد ما جاء في قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ ﴾ الحج: ١

تتحدث هذه الآية عن مشهد من مشاهد يوم القيامة وما يعتري الكون في ذلك اليوم من اضطراب وهذا اليوم هو من الأمور الغيبية فالمخاطب يكون خالي الذهن من الحكم لكن أنزل المخاطَب خالي الذهن في هذه الآية منزلة السائل المتردد، فالظاهر يقتضي أن يكون الخبر خاليا من أدوات التوكيد؛ لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) لكن تقدم في الكلام ما يشعر بنوع الحكم (يا أيها الناس اتقوا ربكم) مما جعل المخاطَب متطلعًا إلى الحكم ظاهرا بصورة السائل المتردد؛ فجاء الخبر مؤكدا بمؤكد واحد هو (إنَّ) (٢٨) فأن أمرهم بالتقوى يشير إلى جنس الخبر الآتي بعده فلما أمرهم بالتقوى واخبر أن هناك أهوال لا تؤمن التقوى من فزعها وهولها في ذلك اليوم الرهيب، فكان المقام مقام تردد في أنه هل هناك أمامهم أمر مهم سيقع لهم إن لم يتقوا، فقيل " إن زلزلة الساعة شيء عظيم" وهذا الخبر فيه خروج على خلاف مقتضى الظاهر وهو إنزال غير المتردد منزلة المتردد. كما نجد في قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢ ﴾[الحج: ٢]

نجد في هذا النص ("مشهدا حافلا بالصور المعبرة: صورة تلك المرأة التي يشدها إلى رضيعها الحنان والشفقة، وإذا بها ذاهلة عنه، تنظر ولا ترى، وتتحرك ولا تعي. وصورة التي تبذل قصارى جهدها ليثبت الجنين في أحشائها، فإذا بها تسقطه لما انتابها من هول مروع، وصورة الناس الذين لم يعاقروا خمرا ولم يذوقوا مسكرا، وهم يترنحون بخطواتهم، ويتبدى السكر في نظراتهم الذاهلة من هول الموقف. إنه مشهد مزدحم بتلك الرسوم المتداعية، تكاد العين تبصره، بينما الخيال يتملاه.")(٢٩)

المبحث الثاني

أن ينزل (خالي الذهن) غير المنكر لما يقدم له من خبر منزلة المنكر لظهور أمارات الإنكار عليه

ومثال ذلك قوله تعالى: "ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ"؛ فالمخاطبون بهذه الآية الكريمة لا ينكرون حقيقة الموت بالنسبة للإنسان، ويعلمون أنه مهما طال أجله فإن مصيره إلى الموت والفناء، وعلى مقتضى الظاهر كان يجب أن يلقى الكلام إليها خاليا من التأكيد، ولكن مع ذلك نرى أن الكلام قد خرج عن مقتضى الظاهر وألقي إليهم مؤكدا. وسبب ذلك؟.

هو ظهور أمارات الإنكار عليهم، فإن نسيانهم للموت وتكالبهم على الحياة الدنيا كأنهم مخلدون أبدا، وعدم بذلهم ما ينفعهم في الآخرة، كل هذه بوادر منهم تدل على إنكارهم لحقيقة الموت، ومن أجل ذلك نزّلوا منزلة المنكرين، وألقي الخبر إليهم مؤكدا بمؤكدين هما « إِنَّ » و «لام الابتداء».(٣٠) "وأكد هذا الخبر ب (إِنَّ) واللام مع كونهم لا يرتابون فيه لأنهم لما أعرضوا عن التدبير فيما بعد هذه الحياة كانوا بمنزلة من ينكرون أنهم يموتون."(٣١) أما توكيد خبر "ثم إنكم يوم القيامة تبعثون" هذا ليس فيه خروج على مقتضى الظاهر لأنهم ينكرون البعث. "ويكون ما ذكر قبله من الخلق الأول دليلا على إمكان الخلق الثاني كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [ق: ١٥]، فلم يحتاج إلى تقوية التأكيد بأكثر من حرف التأكيد وإن كان إنكارهم البعث قويا. ونقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات، ونكتته هنا أن المقصود التذكير بالموت وما بعده على وجه التعريض بالتخويف وإنما يناسبه الخطاب."(٣٢) ومن خلال السياق يظهر لنا أن الغرض من الخبر هو التذكير وفي هذا التذكير ما فيه من الاعتبار للمعتبرين، ومن الاتعاظ للمتعظين، ومن البراهين الساطعة والقاطعة على وحدانية الله- تعالى-.

ومن صور خروج أضرب الخبر على خلاف مقتضى الظاهر في آيات المشاهد الكونية: هو تنزيل غير المنكر منزلة المنكر، لظهور أمارات الإنكار عليه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يونس: ٦]، ذكر الخبر هنا "منبِّهًا عبادَه على موضع الدّلالة على ربوبيته، وأنه خالق كلِّ ما دونه: إن في اعتقاب الليل النهارَ، و النهار الليلَ، أي إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب

هذا، وفيما خلق الله في السموات من الشمس والقمر والنجوم، وفي الأرض من عجائب الخلق الدالة على أن لها صانعا ليس كمثله شيء= (لآيات)، يقول: لأدلة وحججًا وأعلامًا واضحةً= (لقوم يتقون) الله، فيخافون وعيده ويخشون عقابه على إخلاص العبادة لربهم."[٣٣] فإذا جاءت كتب الله، ورسله، تخبر وتحدّث عن البعث، "وتؤكد وقوعه، لتجزى كل نفس بما كسبت- كان ذلك أمرا لا ينبغي لعاقل أن يشك فيه، إذ كان مما يطلبه العقل، ويقيم له من تصوراته وخيالاته مفهوما يستريح له، ويرضى به!."[٣٤] لكنَّنا نجد الخبر مؤكداً بإنَّ، وكان يجب أنَّ يلقى من غير تأكيد، لأنه لا يشك أحد بأن الله خلق السماوات والأرض وجعل فيهما الشمس والقمر وتعاقب الليل والنهار، وأنها آيات عظيمة، يقول ابن عاشور "وتأكيد هذا الاستدلال بحرف إن لأجل تنزيل المخاطبين به الذين لم يهتدوا بتلك الدلائل إلى التوحيد منزلة من ينكر أن في ذلك آيات على الوحدانية بعدم جريهم على موجب العلم."[٣٥] أي أنه سبحانه جعل الذين ينكرون قدرته، وينكرون البعث، كمن ينكر أن يكون في خلق السماء والأرض وتعاقب الليل والنهار، آيات تدل على قدرته سبحانه _ "ثم إنه تعالى بعد ذكر هذه الدلائل قال: { لآيات لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ } فخصها بالمتقين، لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر إلى التدبر والنظر"[٣٦]

ويقول ابن عاشور: "وجعلت الآيات هنا لقوم يتقون وفي آية البقرة [١٦٤] لقوم يعقلون وفي آية آل عمران [١٩٠] لأولي الألباب لأن السياق هنا تعريض بالمشركين الذين لم يهتدوا بالآيات ليعلموا أن بعدهم عن التقوى هو سبب حرمانهم من الانتفاع بالآيات، وأن نفعها حاصل للذين يتقون،"[٣٧] فكان يجب ان يلقى الخبر ابتدائيا ولكن هنا خرج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر وذلك لأنهم لم يهتدوا بتلك الدلائل والآيات فأنزلهم منزلة المنكر بان تكون هناك آيات لعدم جريهم على العلم بها. و "لفت الأنظار إلى ما اشتمل عليه هذا الكون من مخلوقات شاهدة محسوسة، تدل على وحدانيته الله، وقدرته النافذة، ورحمته السابغة بعباده."[٣٨]

من أساليب خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر هو تنزيل غير المنكر منزلة المنكر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الحجر: ١٦

فإن سبحانه وتعالى_ لما ذكر في الآيات السابقة، ما استولى على قلوب المشركين من ظلام كثيف، وضلال مبين، وبيّن أنه لو أصعد بهم إلى السّماء، وشهدوا ما في الملأ الأعلى من آيات، ما كان لهم في ذلك طريق إلى الهدى والإيمان بالله، ولا تّهموا حواسّهم، وكذّبوا المشاهد المحسوس بين أيديهم.[٣٩] ويرى الطنطاوي إنَّ (" افتتاح الآية الكريمة بلام القسم وقد، تنزيلا للمخاطبين الذاهلين عن الالتفات إلى

مظاهر قدرة الله- تعالى- منزلة المنكرين، فأكد لهم الكلام بمؤكدين لينتبهوا ويعتبروا. والضمير في قوله وَزَيَّنَّاها... يعود إلى السماء. أي: وزينا السماء بتلك البروج المختلفة الأشكال والأضواء، لتكون جميلة في عيون الناظرين إليها، وآية للمتفكرين في دلائل قدرة الله- تعالى- وبديع صنعه.")[٤٠] وهذا التنزيل "فيه ضرب من الاستدلال على مكابرتهم فإنهم لو أرادوا الحق لكان لهم في دلالة ما هو منهم غنية عن تطلب خوارق العادات.

والخبر مستعمل في التذكير والاستدلال لأن مدلول هذه الأخبار معلوم لديهم."[٤١] والذي يمعن النظر في هذه السورة يجد هذا الأسلوب من التوكيد قد تكرر كثيراً، وهو التوكيد بلام القسم وقد، وهي من السور المكية وكأنها رسالة قرآنية من الله ليطمئن الرسول، بأن الله يحفظ دينه، وفيها تأكيد للمشركين على وحدانيته سبحانه وعظيم قدرته.

وهذا يدل على إعجاز القرآن وبلاغة بأنه يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها. يقول: الخطابي (ت:٣٨٨هـ) (" وفى إعجاز القرآن وجه آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم. وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى - ما يخلص منه إليه. تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق، وتغشاها من الخوف والفرق ما تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب. يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها.")[٤٢]، وهذه الآية لها نظيرها في القرآن الكريم، لكن في كل مرة ترد في سياق مختلف وتعبير جديد، وهذا ما ذكرناه سالفا من التنوع في عرض المشاهد الكونية في سياقات مختلفة، وهذه الآيات[٤٣] قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٥ ﴾ [الجاثية: ٣ – ٥]

الشاهد قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ ﴾ [الجاثية: ٣]

نجد في هذه الآية الكريمة لم يصرح سبحانه بمشاهد الآيات وإنما "هو عرض عام للوجود كله، في السموات والأرض.. ففي كل نظرة ينظر بها المؤمن في هذا الوجود، يرى آيات دالة على قدرة الله، وعلمه، وحكمته.. أما غير المؤمن فلا يرى فيما يرى من هذا الوجود، إلا أشباحا تتحرك، وكائنات تظهر وتختفى.. وقد ينبهر بما يرى، ويفتن بما يملأ عينيه من جمال، ولكنه يظل حيث هو في تعامله مع كائنات

الوجود وعوالمه، دون أن يصله شيء من هذا بخالق الكون ومبدعه!"[٤٤] وأكد الخبر "بأنَّ وإنَّ كان المخاطبون غير منكريه؛ لتنزيلهم منزلة المنكر لذلك بسبب عدم انتفاعهم بما في هذه الكائنات من دلالة على وحدانية الله تعالى وإلا فقد قال الله تعالى: ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم في سورة الزخرف [٩]."[٤٥] والخبر هنا ورد مؤكدا وكان يجب أن يلقى خالٍ من التأكيد، وذلك لأن المشركين لما جعلوا لله شريك يعبد كانوا كمن ينكر أن يكون في ذلك آيات في خلق السماء والأرض، والخطاب موجه إلى المشركين فنزلوا منزلة المنكر، ولذلك قال: لآيات للمؤمنين والمراد بالآيات: الدلائل والبراهين الدالة على قدرته- سبحانه- و وحدانيته. فهو تأكيد أيضا على أن في خلق السماء والأرض، آيات للمؤمنين.

ويقول: ابن عاشور: "واعلم أن هذا الكلام وإن كان موجَّهاً إلى قوم لا ينكرون وجود الإله وإنما يزعمون له شركاء، وكان مقصودا منه ابتداءً إثبات الوحدانية، فهو أيضاً صالح لإقامة الحجة على المعطلين الذين ينفون وجود الصانع المختار وفي العرب فريق منهم. فإن أحوال السماوات كلها متغيرة دالة على تغير ما اتصفت بها، والتغير دليل الحدوث وهو الحاجة إلى الفاعل المختار الذي يوجدها بعد العدم ثم يعدمها."[٤٦] وهذه الآيات هي دلالة الصنعة على الصانع.

ومن صور خروج الخبر عن مقتضى الظاهر بتنزيل غير المنكر منزلة المنكر

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧]

جاءت الآية في سياق جملة خبرية لبيان سعة القدرة الإلهية وإثبات الوحدانية لله تعالى_ وإثبات البعث " بِأَيْدٍ بقوّة. والأيد والآد: القوّة. وقد آد يئيد وهو أيد وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ لقادرون، من الوسع وهو الطاقة. والموسع: القوى على الإنفاق. وعن الحسن: لموسعون الرزق بالمطر."[٤٧] إذاً قوله " بِأَيْدٍ مجاز أي بقوّة.[٤٨] وأكد الخبر بحرف (إنَّ) و اللام لتنزيل المخاطبين منزلة من ينكر سعة قدرة الله تعالى، إذ أحالوا إعادة المخلوقات بعد بلاها.[٤٩] فساق لهم الخبر "دالاً على وحدانيته لتمام القدرة الدالة على ما تقدم من أمر البعث: فقال {والسماء بنيناها} بما لنا من العظمة {بأيد} أي بقوة وشدة عظيمة لا يقدر قدرها. ولما كانت السماء أليق لعظمتها وطهارتها بصفات الإلهية، قال، وأكد لما يلزم إنكارهم البعث من الطعن في القدرة:{وإنا} على عظمتنا مع ذلك {لموسعون }"[٥٠] أي وإنا لقادرون أي لذو سعة من القدرة ومن قدر على ذلك فهو قادر على ما هو أهون منه وهو إعادتكم بعد الموت، فقد عالج القرآن الكريم إنكار المشركين للبعث بأسلوب فريد وهو يجعل الجاحد أو المنكر للشيء يقر ويعترف بعظيم قدرته سبحانه _ على ما نكروه ويجعلهم يكتشفون زيف وبطلان اعتقادهم من تلقاء نفسهم، فالتأكيد في الجملة الخبرية قد

ساهم في إيقاظ الشعور والإحساس ومخاطبة العقل والقلب معاً، فلا مجال أمام المخاطبين سوئ الاعتراف بعظمة وقدرة الله تعالى وإثبات الوحدانية له جل شأنه وهذا هو أسلوب القرآن في إثبات الحقائق العظيمة مثل الوحدانية والربوبية والبعث والوحي، دائما ما يوجه الأنظار إلى بدائع صنعه في الآفاق، وهذا يدل على أن الكون هو وسيلة الدعوى الكبرى.

المبحث الثالث

أن ينزل العالم بفائدة الخبروبلازم الفائدة منزلة الجاهل بالخبر وذلك لأنه غيرعامل بمقتضى علمه فيقدم له الخبركما يقدم للجاهلين به فإن من لا يعمل بمقتضى علمه فهووالجاهل سواء

فمن الأمثلة على هذه الصورة المواعظ التي تقدم على ألسنة الوعاظ للعالمين بها، تنزيلاً لهم منزلة الجاهلين بها، لأنهم لا يعملون بمقتضى ما يعلمون.[٥١] ومثاله من القرآن قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٧ – ٩٩]

الشاهد: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ﴾[الأنعام: ٩٧]

وهذه الآية تذكير بوحدانية الله تعالى_ وبعظيم خلقة للنجوم، وبالنعمة الحاصلة من نظام سيرها إذ كانت هداية للناس في ظلمات البر والبحر يهتدون بها، والغرض منها هو الامتنان والاستدلال على كمال القدرة الإلهية.

"والمقصود الأول من هذا الخبر الاستدلال على وحدانية الله تعالى بالإلهية، فلذلك صيغ بصيغة القصر بطريق تعريف المسند والمسند إليه، لأن كون خلق النجوم من الله وكونها مما يهتدى بها لا ينكره المخاطبون ولكنهم لم يجروا على ما يقتضيه من إفراده بالعبادة."[٥٢] لذلك أكد الخبر هنا بضمير الفصل وصيغة القصر أي الله لا غيره الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات الليل ومعرفة اتجاه سيركم في البر والبحر، والمخاطبون لا ينكرون بأن الله تعالى _ هو من خلق النجوم وكان يجب أن يلقى الخبر هنا ابتدائيا من غير توكيد لكن لما لم يجروا على ما يقتضيه علمهم بأن الله هو الخالق ولم يفردوه بالعبادة نزلوا منزلة من ينكر أن الله هو الذي خلق النجوم ونزل العالم بفائدة الخبر ولازمها منزلة الجاهل بها لعدم جريهم على موجب علمهم، لذلك تم تأكيد الخبر بضمير الفصل.

أما قوله تعالى: ﴿ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ ﴾ [الأنعام: ٩٧]

هنا استعارة: أي مشتبهات الطرق عبّر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة.[٥٣] يقول: الألوسي "لِتَهْتَدُوا بِها بدل من ضمير لَكُمُ بإعادة العامل بدل اشتمال كأنه قيل جعل النجوم لاهتدائكم فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ أي في ظلمات الليل في البر والبحر، وإضافتها إليها للملابسة أو في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة،"[٥٤] ويقول: ابن عاشور ("وجعل هنا بمعنى خلق، فيتعدى إلى مفعول واحد ولكم. متعلق بجعل، والضمير للبشر كلهم، فلام لكم للعلة. وقوله: لتهتدوا بها علة ثانية للجعل فاللام للعلة أيضا، وقد دلت الأولى على قصد الامتنان، فلذلك دخلت على ما يدل على الضمير الدال على الذوات،...واللام الثانية دلت على حكمة الجعل وسبب الامتنان وهو ذلك النفع العظيم. ولما كان الاهتداء من جملة أحوال المخاطبين كان موقع قوله: لتهتدوا قريبا من موقع بدل الاشتمال بإعادة العامل،")[٥٥]، أما قوله تعالى {قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} هنا جملة خبرية الغرض منها "التعريض بمن لا يتدبر آيات الله ولا يعتبر بمخلوقاته: إذ خص العلم بالآيات المفصلة والتفقه فيها بقوم، فأشعر أن قوما غيرهم لا علم عندهم ولا فقه، وجعل التفصيل لقوم يعلمون تعريضا بمن لم ينتفعوا من هذا التفصيل بأنهم قوم لا يعلمون.[٥٦] والمعنى أن في مشاهد الآيات الكونية المذكورة والمتلوة نعمه من نعم الله تعالى _ الدالة على تفرده بالإلوهية ولو تفكروا فيما يشاهدونه من بديع صنعه في الكون فيعلمون حقيقة الحال، وأنهم بعيدون عن الصواب حينما أشركوا معه آلهة أخرى، لذلك نزلوا منزلة من ينكر خلق الله للنجوم وأنه هو الذي سخرها لاهتدائهم في سيرهم.

وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ﴾ [الأنعام: ٩٩]

القول في صيغة القصر من قوله: وهو الذي أنزل إلخ كالقول في نظيره السابق.

إذا في سياق الآيتين المذكورتين جملة خبرية على خلاف الظاهر لتنزيل العالم بفائدة الخبر وبلازم الفائدة منزلة الجاهل بالخبر وذلك لأنه غير عامل بمقتضى علمه فيقدم له الخبر كما يقدم للجاهلين به.لأنهم لو عملوا بموجب علمهم لما أشركوا مع الله آلهة أخرى قط، لذلك سيق الخبر لهم كأنهم ينكرون بأن الله تعالى _ هو الذي جعل لهم النجوم ليهتدوا بها، وكذلك كأنهم ينكرون بأن الله هو الذي أنزل لهم من السماء ماء المطر، والغرض من هذا الأسلوب في التعبير القرآني هو التعريض بالمشركين، والامتنان عليهم والتذكير بالنعم التي توجب الشكر والإفراد بالعبادة ونبذ الشركاء والأنداد.

ومن صور خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر أيضا تنزيل غير المنكر منزلة المنكر. أو تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازمها منزلة الجاهل به لعدم جريهم على موجب علمهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٠ – ١٣]

في هذه الآيات مشاهد كونيه متعددة منها مشهد كوني وهو نزول المطر، والمراد بالسماء: السحاب المرتفع في طبقات الجو، حيث ينزل منه الماء بقدرة الله- تعالى- والشراب: اسم للمشروب الذي يشربه الإنسان والحيوان وغيرهما.

والمخاطبون لا ينكرون أن الله أنزل المطر من السحاب المتجمع في السماء لكن نجد الجملة الخبرية مؤكدة بضمير الفصل (هو) وهي صيغة حصر أي الله وحده الذي أنزل هذا الماء من السماء وليس الأنداد والشركاء، ("وصيغة تعريف المسند إليه والمسند أفادت الحصر، أي هو لا غيره. وهذا قصر على خلاف مقتضى الظاهر، لأن المخاطبين لا ينكرون ذلك ولا يدعون له شريكا في ذلك، ولكنهم لما عبدوا أصناما لم تنعم عليهم بذلك كان حالهم كحال من يدعي أن الأصنام أنعمت عليهم بهذه النعم، فنزلوا منزلة من يدعي الشركة لله في الخلق، فكان القصر قصر إفراد تخريجا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر.")[٥٧] فتأكيد الخبر هنا على خلاف مقتضى الظاهر. لتنزيل العالم بفائدة الخبر ولازمها منزل الجاهل لعدم العمل

بموجب علمه بذلك، وهذا فيه امتنان وتعريض بالمخاطبين والانتفاع بهذا الكون ليس خاصا بالمؤمن دون الكافر وإنما هو نفع عام لكل بني البشر المؤمن والكافر على حدٍ سواء؛ ولذلك نلمح في خطاب القرآن الكريم في سياق هذه الآيات موجها إلى الناس عامة بلفظ {لَكُمْ} ، وصيغة الخطاب هذه تدل على أن التسخير مقصود وهو إحدى وظائف الكون المطلوبة،[٥٨] لكن في الخطاب تعريض بالمشركين لأنهم لو تفكروا وتأملوا بهذه النعم العظيمة، لما أشركوا في عبادته إلهاً آخر قط، وهذه الآيات تدعو إلى النظر في آيات الله تعالى في الكون والتي تدل دلالة بينة على خالقها سبحانه وأنه المستحق للعبادة وحده، ولما كان هنا مظنة سؤال وهو أنه لم لا يجوز أن يكون أنزال المطر أن المؤثر فيه طبائع الفصول وحركات الشمس والقمر، جاء الخبر مؤكدا بضمير الفصل وصيغة الحصر، فقد يكون لتنزيل المخاطبين منزلة السائل المتردد.

ففي قوله تعالى:﴿ مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [النحل: ١٠]

فمن الأولى "هنا للتبعيض ومن الثانية للسببية أي وبسببه إنبات شجر ودل على ذلك قوله ينبت لكم به الزرع ")[٥٩]، وفي قوله "وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ" من الدقائق البلاغية في هذه الآية الإتيان بحرف الظرفية، (في) فالإسامة فيه تكون بالأكل منه والأكل مما تحته من العشب.

وسمّيت الأنعام سائمة، لأنها تسم الأرض بأرجلها، أي تترك فيها أثرا، أو تسم المراعي بما تأكل منها، فتترك آثارها عليها.

و الإسامة: إطلاق الإبل للسوم وهو الرعي. يقال: سامت الماشية فهي سائمة وأسامها ربها.[٦٠]

ومن صور خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر هو تنزيل غير الجاهل بمضمون الخبر منزلة الجاهل أيضا :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٩]

الشاهد: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩]

الآية هنا في مقام الامتنان على الناس بخلق جميع ما في الأرض الإجلهم، (" وجملة: هو الذي خلق لكم صيغة قصر وهو قصر حقيقي سيق للمخاطبين من المشركين الذين لا شك عندهم في أن الله خالق ما في الأرض ولكنهم نزلوا منزلة الجاهل بذلك فسيق لهم الخبر المحصور لأنهم في كفرهم وانصرافهم عن شكره والنظر في دعوته وعبادته كحال من يجهل أن الله خالق جميع الموجودات") [٦١] هو تهكم بالمشركين

الذين يعلمون بأن الله تعالى _ هو الذي سخر لهم كل ما في الأرض كما إن المشركين ما كانوا يثبتون لأصنامهم قدرة على الخلق وإنما جعلوها شفعاء ووسائط لهم وعبدوها وأعرضوا عن عبادة الله وحده ولم يعبدوه حق عبادته ونسوا الخلق الملتصق بهم وبما حولهم من الأحياء، وهم يعلمون بأن الله وحده المنعم عليهم، لذلك نزلوا منزلة الجاهل لعدم جريهم على مبدأ علمهم.

ويقول: ابن عاشور ("المقصود من الكلام فيما أراه موافقا للبلاغة التذكير بأن الله هو خالق الأرض وما عليها وما في داخلها وأن ذلك كله خلقه بقدر انتفاعنا بها وبما فيها في مختلف الأزمان والأحوال فأوجز الكلام إيجازا بديعا بإقحام قوله: لكم فأغنى عن جملة كاملة فالكلام مسوق مساق إظهار عظيم القدرة وإظهار عظيم المنة على البشر وإظهار عظيم منزلة الإنسان عند الله تعالى، وكل أولئك يقتضي اقتلاع الكفر من نفوسهم")[٦٢] إذاً بعد أن وبخهم سبحانه وتعالى على كفرهم بالله وإشراكهم معه آلهة أخرى وأخبرهم بأنه سبحانه هو الذي أمتن عليهم بخلقهم أولاً وأنه سبحانه جعل لهم أجل محدد وبعد ذلك يميتهم ثم يبعثهم للحساب، فأستدل بذلك بما امتن عليهم من خلق ما في الأرض جميعاً لهم أي خلق لأجلكم جميع ما في الأرض من الموجودات لتنتفعوا بها ("ولما أجمل سبحانه في أول هذه الآية أول أمرهم وأوسطه وآخره على الوجه الذي تقدم أنه منبه على أن الكفر ينبغي أن يكون من قبيل الممتنع لما عليه من باهر الأدلة شرع يفصله على وجه داع لهم إلى جنابه بالامتنان بأنواع الإحسان بأمر أعلى في إفادة المقصود مما قبله على عادة القرآن في الترقي من العالي إلى الأعلى فساق سبحانه ابتداء الخلق الذي هو من أعظم الأدلة على وحدانيته مساق الإنعام على عباده بما فيه من منافعهم ليكون داعياً إلى توحيده")[٦٣] إذاً بعد أن أمتن عليهم بخلقهم تدرج بالامتنان عليهم بخلق جميع ما في الأرض لهم وهذه طريقة القرآن بأنه يتدرج في الاستدلال على إثبات وحدانية الله وإثبات البعث عن طريق عرض الآيات التي تلجئ المخاطب بالإقرار بها لأن بعد هذا الدليل على الوحدانية إذا أعرض الإنسان عن التوحيد يكون ضربا من المكابرة والمراوغة والمغالطة المكشوفة، وقد بدأ القرآن في لفت أنظارهم لما هو أقرب إليهم فبدأ بالأرض لأنها أقرب إليهم ثم لفت أنظارهم للسماء يقول: البقاعي ("ولما كانت السماء أشرف من جهة العلو الذي لا يرام، والجوهر البالغ في الأحكام، والزينة البديعة النظام، المبنية على المصالح الجسام، وكثرة المنافع والأعلام، عبر في أمرها بثم فقال: {ثم استوى إلى السماء} أي وشرف على ذلك جهة العلو بنفس الجهة والحسن والطهارة وكثرة المنافع،")[٦٤]

ومن صور خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر في تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازمها منزلة الجاهل

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [يونس: ٣-٥]

جاء في سياق هذه الآيات الأخبار عن مشاهد كونية، تبين أنه "ما من شيء معقول أو محسوس أو ملموس أو مشاهد إلا ويدل دلالة قاطعة على قدرة الله تعالى الخارقة والزائدة على أية قدرة، لأن قدرة الله تعالى تتميز في إيجاد الموجودات وما يكون بينها من نسب ومقادير يقتضيها إبداع التسوية والتركيب وإتقان الأشياء."[٦٥] وكلها أخبار تدل على القدرة الإلهية، لأنها مظاهر لا يتقنها إلا خالق عظيم، وأن القدرة البشرية عاجزة عن فعل مثل هذا الصنع العجيب الدال على صانعه، وكما مر سابقا من أنه لا أحد ينكر خلق الله للسماوات والأرض وما فيها، لكن نجد سياق الجملة الخبرية في الآيات السابقة مؤكدة، وكان يجب أن يكون ألقى الخبر ابتدائيا، وهذا لعلة بلاغية وهي أنزال غير المنكر منزلة المنكر؟ يقول: الرازي " اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم تعجبوا من الوحي والبعثة والرسالة، ثم إنه تعالى أزال ذلك التعجب بأنه لا يبعد ألبتة في أن يبعث خالق الخلق إليهم رسولاً يبشرهم على الأعمال الصالحة بالثواب، وعلى الأعمال الباطلة الفاسدة بالعقاب، "[٦٦] وهذه الآيات جاءت في مقام إثبات الألوهية وإثبات البعث، والخطاب للمشركين، ولذلك أكد الخبر بحروف التوكيد، وقد وجدنا في سياق الآيات أخبار مؤكدة، الأول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[يونس: ٣]

كان الظاهر يقتضى أن لا يؤكد الخبر بإنَّ، وكان يجب أن يلقى من غير توكيد، لأنه لا يشك أحد في أن الله خلق السماوات والأرض، لكن لما دفع المشركين زيف اعتقادهم وبعد ظلالهم، بادعاء أن ما جاء به النبي سحر، وأنكروا عليه جعله الآلهة إله واحدا، وأنكروا تفرده سبحانه بالإلوهية وجعلوا الأصنام له شركاء، نزل حالهم كحال من ينكر أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض، لذلك أكد الخبر لهم لكثرة إعراضهم عنه في عباداتهم وتوجهاتهم، ثم أخبر بأنه هو الذي أمتن عليهم بجعل الشمس ضياء والقمر نور، وهو الذي يتصرف في حركة الشمس و دورة ومنازل القمر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [يونس: ٥]

فأكد الخبر بضمير الفصل (هو) وهنا صيغة قصر وهذا قصر على خلاف مقتضى الظاهر، لأن المخاطبين لا ينكرون ذلك ولا يدعون له شريكا في ذلك، ولكنهم لما عبدوا أصناما لم تنعم عليهم بذلك كان حالهم كحال من يدعي أن الأصنام أنعمت عليهم بهذه النعم، فنزلوا منزلة من يدعي الشركة لله في الخلق، فكان القصر قصر إفراد تخريجا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر. فأكد الخبر هنا لأجل تنزيل المخاطبين به وهم المشركين الذين لم يهتدوا بتلك الدلائل إلى التوحيد منزلة من ينكر أن في ذلك آيات على الوحدانية بعدم جريهم على موجب العلم، [٦٧] وأسلوب القرآن الكريم، يجري على مستوى رفيع واحد رغم تنوع المعاني والموضوعات، فهو معجز في طريقة نظمه، ففي قوله تعالى" هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ." نجد ("دقة في التعبير، وسلامة في المعنى، تدل دلالة قاطعة على أن القرآن الكريم كلام اللهَّ، وأنه صادر عن خالق الكون بما فيه الشمس والقمر وقد أورد العلماء الفرق بين معنى الضياء والنور، وذكروا أن الضياء أكمل وأعم من النور، وأسطع وأقوى. وأما النور فدونه. ويترتب عن ذلك الليل والنهار. ولو كان النور واحدا في الشمس والقمر لما حدث التمييز بين الليل والنهار، كما اشتملت الآية على إشارات فلكية بقوله تعالى وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ فالمولى عز وجل قد جعل للقمر منازل ومواضع يترتب عنها معرفة الشهور القمرية والسنين القمرية،")[٦٨] واختيار الألفاظ المناسبة للتعبير عن المعنى المناسب فهذا من بلاغة القرآن التي تحدث عنه الخطابي (ت:٣٨٨هـ) بعد أن ذكر أقوال المعاندين للقرآن، لما عجزوا عن معارضته، وقال:(" إن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات، هو وضع كل نوع من الالفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الاخص الاشكل به.

الذى إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذى يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغة. ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة والحمد والشكر. والامر فيها وفى ترتيبها عند علماء اللغة بخلاف ذلك، لان لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها")[٦٩]. ومن هنا تظهر بلاغة القرآن وروعة انتقاء الألفاظ ليكون معجز في طريقة نظمه.

المبحث الرابع

أن ينزل المنكر منزلة غير المنكر، فلا يعتد بإنكاره، لأن بين يديه شواهد وأدلّة لو تأملها لعدل عن إنكاره

ومثال ذلك قوله تعالى: "وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ واحِدٌ" ففي هذه الآية الكريمة نرى الله جلّ شأنه يوجه الخطاب إلى المنكرين لوحدانيته، وكان مقتضى الظاهر أن يكون إلقاء الخبر على المنكرين مؤكدا، ولكن نجد الخبر في الآية قد خرج عن مقتضى الظاهر، فألقي إلى المنكرين خالٍ من التوكيد، كما يلقى إلى غير المنكرين، وسبب ذلك أن بين أيدي المنكرين لوحدانية الله سبحانه_ من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة والشواهد المقنعة ما لو تدبّروه بعين البصيرة وعقلوه لزال إنكارهم ولحل محله اليقين والاقتناع بوحدانية الله. ولذلك لم يكترث الله بإنكارهم عند توجيه الخطاب إليهم، وأنزل هؤلاء المنكرين منزلة غير المنكرين لوجود الدلائل التي لو تأملها هؤلاء المنكرين لاقتنعوا وكفّوا عن إنكاره.(٧٠) ونرى ذلك كثيرا في القرآن الكريم، أعني تنزيل المنكر منزلة غير المنكر وقد يترك التأكيد وهو معه منكر لأن معه أدلة ظاهرة لو تأملها لرجع عن إنكاره وعلى ذلك يخرج قوله: {ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون} أكد الموت تأكيدين وإن لم ينكر احدا الموت لتنزيل المخاطبين لتماديهم في الغفلة تنزيل من ينكر الموت كما ذكنا سابقاً وأكد إثبات البعث تأكيدا واحدا وإن كان المخاطبين من المشركين أشد نكيرا للبعث من الموت لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديرا بأن لا ينكر فنزل المخاطبون منزلة غير المنكر حثا لهم على النظر في أدلته الواضحة ونظيره قوله تعالى: {لا ريب فيه} نفى عنه الريبة ب "لا" على سبيل الاستغراق مع أنه ارتاب فيه المرتابون لكن نزل منزلة العدم تعويلا على ما يزيله من الأدلة الباهرة كما نزل الإنكار منزلة عدمه لذلك(٧١) نجد بأن القرآن الكريم بأسلوبه الفريد لم يلتفت للإنكار القائم في نفس المخاطب ولم يلتفت إليه ولم يعبأ به، وساق الكلام كما يساق إلى النفس الخالية من الإنكار، وهذا مثل سابقه فن دقيق لا يهتدى إلى مسالكه إلا بصير بسياسة الكلام، ثم إن له أثره الغالب في النفس البشرية حين تجد الكلام الذي يواجه الرفض، والجحود خاليا من الاحتفال والتوكيد، خافت النبرة، هامسا بالحقيقة في غير جلجلة وضجيج، وتجد هذا في كتاب الله كثيرا جدا.(٧٢) ونتأمل أكثر الأسلوب الخبري الوارد في قوله تعالى_ يخاطب المؤمنين والمنكرين: قَالَ تَعَالَى:﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ ﴾ [الجمعة: ١]

لا تجد في هذا الخبر العظيم الذي يفيد أن كل ما في السموات والأرض من ناطق، وصامت وجبال وبحار، وكواكب كل ذلك يسبح للملك القدوس، هذا خبر يرج النفوس رجا، ثم هو منكور عند الجاحدين، ولكن القرآن لم يعبأ بهذا، وساق الحقيقة الضخمة في هذا الهدوء الواثق الحكيم.(٧٣) ومثله قوله تعالى:﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ ﴾ [الحديد: ٥]

ففي صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في آيات المشاهد الكونية في القرآن الكريم، أسرار ودقائق بلاغية، نجدها أكثر في آيات المشاهد الكونية القرآن الكريم، فهي تجسد لنا عبارة أو فكرة المقام، وكيف أن لكل حالة ما يناسبها من المعاني في الكلام، ولذلك قدمنا دراسة خروج الكلام على وفق مقتضى الظاهر، وعلاقته بمقتضى الحال، لنستشف الفرق بين المصطلحين ونرفع الالتباس، ونلتمس حسن موافقة الكلام للمقامات التي وود فيها. و("يعلم مما تقدم أن الحال وظاهر الحال –مع اتفاقهما في أن كلا منهما يدعو المتكلم إلى اعتبار أمر زائد في الكلام– يفترقان من حيث إن ظاهر الحال أخص مطلقا من الحال؛ لأن ظاهر الحال هو الوصف الثابت للمخاطب في الواقع كخلو الذهن أو التردد، أو الإنكار، بخلاف الحال فهو أعم من أن يكون وصفا ثابتا للمخاطب في الواقع، أو كان أمرا مفروضا فيه فرضا، فالحال في نحو قولك لمنكر حقيقة الإسلام: "إن الإسلام لحق" هو الإنكار؛ لأنه أمر دعا المتكلم إلى أن يعتبر في كلامه خصوصية هي "التأكيد" وهو ظاهر حال أيضا؛ لأنه أمر ثابت للمخاطب في الواقع فقد اتحد الحال وظاهر الحال في مثل هذا المثال، أما في نحو قولك للمسلم التارك للزكاة: "إن الزكاة لواجبة" فإن الحال فيه "الإنكار" لأنه أمر دعا المتكلم إلى أن يعتبر التأكيد في خطابه، وليس ظاهر حال له إذ ليس وصفا ثابتا له في الواقع، وإنما الثابت له "عدم الإنكار"، غير أن المتكلم لم يعتبر هذا الوصف، وفرض فيه أمرا ليس وصفا له في الواقع هو "الإنكار" وخاطبه على هذا الاعتبار، فظهر أن ظاهر الحال أخص مطلقا من الحال.")(٧٤)، فأن القرآن الكريم، في نظمه المعجز الفريد (" يجري على نسق بديع، خارج عن المعروف والمألوف من نظام كلام العرب، فهو لا تنطبق عليه قوافي الشعر، كما أنه ليس على سنن أسجاع النثر... وصياغته الموافقة لحال المخاطبين: فإن ألفاظ القرآن وعباراته مصوغة بشكل غريب، وعلى هيئة عجيبة، بحيث تصلح أن تكون خطابا لمختلف المستويات من الناس، وبحيث يأخذ كل قارئ منها ما يقدر على فهمه واستيعابه، ويراها مقدرة على مقياس عقله ووفق حاجته.")(٧٥). وهذا يدل على أن لغة القرآن لغة لها ما يميزها عن غيرها من اللغات في الكتب الأخرى على مستوى التعبير البلاغي وأسلوب الخطاب القرآني ويكمن هذا التميز في مراعات الأحوال ومقتضياتها فهو يراعي الحالات النفسية عند المخاطبين فيورد خطابه على وفق هذه الحالة النفسية وما تقتضيه من مراعاة وعلى الرغم من ذلك يكون

الكلام جاراً على أعلى ذروة البلاغة والفصاحة وحسن الرونق وروعة الصياغة، وهذا لا يتأتى لكل شخص فقد يبدع في مرة ويخفق في أخرى، أما القرآن فأنه يجري على مستوى رفيع على الرغم من تنوع موضوعاته وطريقة عرضها، وكيفية استعمال الألفاظ وسيلة للتعبير عن المعاني والأفكار، ومجيء الكلام في القرآن الكريم كله بوجود كل لفظة في مكانها المناسب، بحيث أنك إذ اردت استبدال لفظة بأخرى فأنها لا تعطيك المعنى المقصود التي اعطته تلك اللفظة، كذلك أسلوب التوكيد وعدمه في الأخبار الواردة في آيات المشاهد الكونية في القرآن الكريم، فقد أسهم في التعبير عن المعاني والأفكار التي يراد تثبيتها في ذهن المتلقي، فيؤكد له القرآن هذه الأفكار والمعاني في المواضع التي تحتاج لذلك، ويورد الخبر خالي من أي مؤكدات في حالة خلوا ذهن المخاطب من الحكم، لكن قد يؤكد الخبر لمن هو خالي الذهن، ويتركه مع المنكر وكل ذلك لأجل أن يراعي فيها حالة المخاطب حتى وإن خرج أو خالف الظاهر فهو لمقتضى الحال التي دعت أن يورد الخبر بهذه الكيفية ويكون الكلام فيها في قمة البلاغة، وكذلك ينقل القرآن هذه الأفكار والمعاني بصورة حسية وكأنها لوحات فنية يشاهدها المخاطب ويحس بها، ويوقظ الشعور والأحاسيس والوجدان كما يخاطب القلب والعقل معاً، و يفتح مجالاً رحبا للتفكر والتأمل ليصل إلى المعنى المقصود من خلال الأسلوب التعبيري المستعمل، وتميز خطاب القرآن في الأخبار عن الآيات الكونية في إبراز عنصر التشخيص فصور الجمادات بسمت الإنسان الذي يدب بالحركة فهو أسلوب فني جمالي يساعد على تأمل أكثر في تلك الصورة، وهذا من بديع القرآن الكريم وسر إعجازه للناس إلى يوم القيامة.

الخَاتِمَةُ

الحمدُ لله ربِ العالمينَ القائلِ في محكمِ كتابِهِ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦]، والصلاةُ والسلامُ على منْ ختمتْ بهِ الرسالاتُ وأنقذ من الضلالات وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ وبعدُ:

فنحمدُ اللهَ أنْ يسرَ لنا إنجازَ البحثِ لتكون خاتمتِهِ المتواضعةِ هذهِ لتكونَ مسكاً عبقاً يلتمسه كلُّ باحثٍ في بلاغةِ القرآنِ وإعجازِه، وقدْ خلُصَتْ مسيرةُ البحثِ إلى جملةٍ مِنَ النتائجِ فيما يأتي:

أولاً: كشف البحث أنَّ القرآن الكريم، ببلاغة المعجزة ونظمه الفريد يفوق كل الاعتبارات في قواعد الشعر والنثر فهو الكتاب الوحيد الذي يخاطب العقل والقلب والشعور معاً.

ثانياً: كشف البحث في كثير من مواضعه عن آيات كونية تتمحور جميعها حول قضايا مهمة، جاءت للاستدلال في إثبات الوحدانية والإلوهية والربوبية وحقيقة البعث وسعة القدرة الإلهية وإنفراده سبحانه في التصرف بنواميس الكون، وهذا يدل على أن الكون هو وسيلة الدعوة الكبرى للتوحيد، واندرج ذلك كله في مشاهد ولوحات فنية وأساليب بلاغية متعددة.

ثالثاً: نلمح في خطاب القرآن الكريم عند ذكر الآيات والمشاهد الكونية؛ خطاباً موجهاً إلى الناس عامة، والمقصود منه التعريض بالمشركين خاصة، ونرى كثيراً ما يأتي في سياقات الامتنان والتذكير والاعتبار،

رابعاً: وردت صيغة الخطاب (لكم) كثيراً تدل على الامتنان و على تسخير هذا الكون العجيب للإنسان وهذا التسخير مقصود وهو إحدى وظائف الكون وجاء في سياقات الامتنان وإظهار عظم القدرة الإلهية وإظهار المنة على البشر و منزلة الإنسان عند الله تعالى – وهذا يقتضي اقتلاع الكفر من نفوسهم، مما يدل على أسلوب الترغيب في الدعوة.

خامساً: كشف البحث عن أسلوب القرآن في عرض الأدلة على التوحيد، وهو أسلوب التدرج في الاستدلال من خلال عرض المشاهد الكونية لإثبات القضايا المهمة كالتوحيد والبعث وغيرها، فيبدأ بالمشاهد الكونية الأقرب إلى الإنسان ثم يرتقي إلى ما هو أعظم تأثيراً وأعظم شأناً، وكذلك كثرة المقابلات فهو يقابل بين الأرض والسماء الليل والنهار الشمس والقمر

وهذا التدرج في عرض الأدلة طريقة قرآنية تلجئ المخاطب بالإقرار والاعتراف بعظمة هذه المشاهد وأنه صنع عجيب يدل على الصانع الحكيم.

سادساً: على الرغم من التنوع في عرض المشاهد الكونية في معاني وموضوعات مختلفة ألا أنه يجرى على مستوى رفيع في طريقة نظمه، وروعة أسلوبه وجمال صياغته.

فيكون دقة في التعبير وسلامة في المعنى وذروة في البلاغة وانتقاء الألفاظ المناسبة في المقام المناسب

سابعاً: أغلب الآيات الكونية من باب الخبر الطلبي أو الإنكاري، وربما يكون السبب وراء ذلك هو جحود الإنسان وعناده في إثبات الوحدانية، أو قد يكون بسبب ذلك ألفة الإنسان وبلادته وعدم التفكر والإنتباه لعظمة القدرة الإلهية في المشاهد الكونية الماثلة للعيان، مما صرفه عن التأمل والتفكر في جزئياتها وتفاصيلها والتي لو تأملها لتوصل إلى أن ورائها صانع حكيم وقادر عظيم، لذلك نجد أغلب الأخبار مؤكدة بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر، وهذا التأكيد من شأنه أن يثير انتباه الإنسان ويوقظ الشعور ويحرك الأحاسيس والوجدان،

ثامناً: قد راعى القرآن الكريم مقتضى الحال على الرغم من خروجه على خلاف مقتضى الظاهر فهو خالف الظاهر لمقتضى الحال أي لمناسبة حالة المخاطب أو السامع وهذا هو غاية البلاغة وقمة الإعجاز القرآني.

هوامش البحث

(١) ينظر: أسلوب التوكيد في سورة النحل (دراسة معاينة) :١

(٢) التلخيص في علوم البلاغة:٣٣

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح:١/ ٩٦

(٤) ينظر: المصدر نفسه:١/ ٩٢

(٥) ينظر: مقتضى الحال مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القرآن الكريم:٥

(٦) ينظر: الحيوان:٣/ ٤٣، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣/ ٢٤٣

(٧) العمدة في محاسن الشعر وآدابه:١/ ١٩٩

(٨) ينظر: مقتضى الحال مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القرآن الكريم:١٢

(٩) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة :١/ ٥٠٤

(١٠) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة:١/ ٥٠٤

(١١) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة :١/ ٥٠٥

(١٢)ينظر: خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني :٨٠_٨١، وينظر:علم المعاني :٥٢_٥٣

(١٣) ينظر: مقتضى الحال مفهومه وزواياه: ٢٠، وينظر: مفتاح العلوم:١٧١

(١٤) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة:١/ ٥٠٥، وينظر: بغية الإيضاح:٢٩

(١٥) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١/ ١٨٢

(١٦) الموسوعة القرآنية المتخصصة:١/ ٥٠٦

(١٧) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١/ ١٨٢_١٨٣

(١٨) مقتضى الحال مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القرآن الكريم: ٦

(١٩) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة:١/ ٥٠٦

(٢٠) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة:١/ ٧٢_٧٥، وينظر: علم المعاني: ٦٠_٦٣

(٢١) التحرير والتنوير:١٢/ ٦٧

(٢٢) إعراب القرآن وبيانه:٤/ ٣٥٣، والجدول في الإعراب: ١٢/ ٢٦٥

(٢٣) ينظر: علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»:٢٨٠، وينظر: أسلوب الحكيم بين القرآن والحديث النبوي الشريف:١٤،

(٢٤) ينظر: الوسيط للطنطاوي:٧/ ٢٠٢

(٢٥) ينظر: التحرير والتنوير:٨/ ١٥٩_١٦٠

(٢٦) التحرير والتنوير:٨/ ١٦١

(٢٧) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٤٣٨

(٢٨) ينظر: الإتقان في علوم القرآن:٣/ ٢١٩

(٢٩) الواضح في علوم القرآن: ١٧٦

(٣٠) ينظر: علم المعاني :٦٢، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة:١/ ٧٥

(٣١) التحرير والتنوير:١٨/ ٢٦

(٣٢) التحرير والتنوير:١٨/ ٢٦

(٣٣) جامع البيان في تأويل القرآن:١٥/ ٢٤

(٣٤) التفسير القرآني للقرآن:٦/ ٩٥٧

(٣٥) التحرير والتنوير:١١/ ٩٧

(٣٦) مفاتيح الغيب للرازي:١٧/ ٣١، وينظر: الكشاف: ٢/ ٣٢٩،وينظر:تفسير أبو السعود:٤/ ١٢٢

(٣٧) التحرير والتنوير:١١/ ٩٨

(٣٨) الوسيط للطنطاوي:٧/ ٢٨

(٣٩) ينظر: التفسير القرآني للقرآن:٧/ ٢٢٣

(٤٠) الوسيط للطنطاوي:٨/ ٢٨

(٤١) التحرير والتنوير:١٤/ ٢٧

(٤٢) إعجاز القرآن للباقلاني:١٧، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت: ٤٠٣هـ)،

(٤٣) ينظر: كل من [الملك:٥] [الصافات:٦_٧]،[فصلت:١٢]،[الفرقان:٦١]

(٤٤) التفسير القرآني للقرآن:١٣/ ٢٢١

(٤٥) التحرير والتنوير:٢٥/ ٣٢٦

(٤٦) التحرير والتنوير: ٢٥/ ٣٢٨

(٤٧) الكشاف: ٤/ ٤٠٤، وينظر: المنير للزحيلي:٢٧/ ٤١

(٤٨) ينظر مجاز القرآن: ١/ ١٠

(٤٩) التحرير والتنوير:

(٥٠) نظم الدرر:١٨/ ٤٧٤

(٥١) البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها: ١/ ١٨٥

(٥٢) التحرير والتنوير:٧/ ٣٩٣

(٥٣) الجدول في الإعراب: ٧/ ٢٣٥

(٥٤) روح المعاني:٤/ ٢٢١، وينظر: الكشاف:٢/ ٥٠، وينظر: تفسير أبو السعود:٣/ ١٦٥

(٥٥) التحرير والتنوير: ٧/ ٣٩٣

(٥٦) ينظر: الجدول في الإعراب:٧/ ٢٣٥، والتحرير والتنوير:٧/ ٣٩٤

(٥٧) التحرير والتنوير:١٤/ ١١٣

(٥٨) الوحي والإنسان – قراءة معرفية:١٧٧،

(٥٩) التبيان في إعراب القرآن:٢/ ٧٩١

(٦٠) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤/ ١١٤، وينظر: التفسير القرآني للقرآن: ٧/ ٢٧٤

(٦١) التحرير والتنوير:١/ ٣٧٩

(٦٢) التحرير والتنوير:١/ ٣٧٩

(٦٣) نظم الدرر: ١/ ٢١٩

(٦٤) المصدر نفسه:١/ ٢٢٢

(٦٥) الوسيط للزحيلي:٢/ ٩٤٢

(٦٦) مفاتيح الغيب: ١٧/ ٨

(٦٧) ينظر: التحرير والتنوير: ١١/ ٨٧_٩٨

(٦٨) الجدول في الإعراب: ١١/ ٨٠

(٦٩) إعجاز القرآن للباقلاني:١٦

(٧٠) ينظر: علم المعاني :٦٣، وينظر: المنهاج الواضح للبلاغة:٢/ ١٦

(٧١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن:٣/ ٢١٧_٢١٨، وينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران):١/ ٢٥٣

(٧٢) ينظر: خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: ٨٧

(٧٣) ينظر: المصدر نفسه:٨٧

(٧٤) المنهاج الواضح للبلاغة:٤/ ٣٧

(٧٥) الواضح في علوم القرآن:١٦٥

المصادر

القرآن الكريم:

١. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر:الهيئة المصرية العامة للكتاب ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤.

٢. إعجاز القرآن للباقلاني: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت: ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر ، الناشر: دار المعارف – مصر ، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.

٣. إعراب القرآن وبيانه،: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ): دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)،الطبعة: الرابعة ، ١٤١٥ هـ.

٤. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي (ت: ١٣٩١هـ)، الناشر: مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٦. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ) دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ،ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ،

٧. التلخيص في علوم البلاغة، للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، ضبطه وشرحه الأديب الكبير الأستاذ: عبد الرحمن البرقوقي ، منشئ البيان والموظف بمجلس النواب ، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى التي طبعت سنة ١٩٠٤م.

٨. تفسير الفخر الرازي: محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين ولد بالري من أعمال فارس من تصانيفه الكثيرة: مفاتيح الغيب من القرآن الكريم.، دار النشر / دار إحياء التراث العربي

٩. التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ) المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٠. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

١١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى، تاريخ النشر: أجزاء ١ - ٣: يناير ١٩٩٧، جزء ٤: يوليو ١٩٩٧، جزء ٥: يونيو ١٩٩٧أجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨، أجزاء ٨ - ١٤: فبراير ١٩٩٨،جزء ١٥: مارس ١٩٩.

١٢. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ،

١٣. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٤. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري(ت:٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١٤٢٠،١ه -٢٠٠٠م.

١٥. الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ) الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ ه.

١٦. الحيوان: أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية– بيروت، ط: ٢، ١٤٢٤ هـ

١٧. خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: أبو موسى، محمد محمد

الناشر: مكتبة وهبة، السابعة.

١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١٥ هـ،

١٩. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت: ٧٧٣ هـ) المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٠. العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ،ط٥، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٢١. علم المعاني: عبد العزيز عتيق (ت: ١٣٩٦ هـ) الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٢. علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»: الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، الناشر: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان.

٢٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)،دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ٣ – ١٤٠٧ هـ.

٢٤. مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: ٢٠٩هـ) المحقق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة، ط: ١٣٨١ ه.

٢٥. مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ)،ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط: ٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ط: ١، ٢٠٠٣ م .

٢٦. معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)،دار الكتب العلمية –بيروت، لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٢٧. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: الدكتور أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٧ه_١٩٨٧م.

٢٨. المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث،د.ط.

٢٩. الموسوعة القرآنية المتخصصة: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر ،عام النشر: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة،.

٣١. الوحي والإنسان-قراءة معرفية:محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والتشر،(القاهرة).

٣٢. الواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب/ دار العلوم الانسانية – دمشق، ط: ٢، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

الرسائل و الأطاريح والبحوث المنشورة

١. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية:(رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى): عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت: ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، ط: ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٢. مقتضى الحال مفهومه وزواياه في ضوء أسلوب القرآن الكريم: د. سميرة عدلي محمد رزق أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك عبد العزيز.

٣. أسلوب التوكيد في سورة النحل (دراسة تحليلية معاينة) للباحثة ليلة القمرية ، جامعة سونان كاليجاكا الإسلامية الحكومية جوكجاكرتا ، ٢٠١٥